احرص على ما ينفعك

في حالة واحدة فقط تستطيع ان تكون شجاعا شجاعة نادرة لا توجد الا في شخص اتصف بصفتك التي بسببها اكتسبت تلك الشجاعة النادرة تلك هي ان تكون مسلماً حقا .

واذا كان الامر كذلك فيجب على المسلم — ولا سيما الداعي الى الله — ان يتحلى بصفة عظيمة بها نجح الانبياء والرسل وكل داع الى الله . تلك الصفة التي تتلاشى امام صاحبها كل الصعاب ويصغر في عينيه كل جبار عنيد . ويكون المتحلي بها دائما رابط الجأش هادىء البال لا يتزلزل لحدوث مصيبة او ارجاف مرجف ، ولا يجبن عند لقاء عدو في معركة حرب مسلحة سافرة ، ولا يتهيب من قول حق في اي مقام وفي اي مناسبة ولاي فرد او جماعة ، لانه واثق من استعلائه واندحار عدوه . . لماذا ! لأنه يتحصن بحصن منيع الجانب لا تهدده آلات الهدم عالي الاسوار . لا يتسلقها متسلق بسلمه ، ولا يعلوها فضائي بقمره الصناعي ، ولا تؤثر فيها قذائف مدفعي ماهر .

انها تلك الصفة العظيمة التي وقف بها هود عليه السلام بمفرده امام قومه عاد العتاة الاشداء الذين كانوا يتحدون عالم زمانهم ويقولون : — (من اشد منا قوة) وقف هود امامهم يتحدى جموعهم ويقلل من شأنهم ويحتقر قوتهم المادية ، كما يسخر من آلهتهم التي كانوا يظنون انها تصيب من تشاء بمكروه ، كما قال تعالى في سورة هود عن قومه المكذبين (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) اي اصابك بعض معبوداتنا بمكروه من جنون ونحوه . فماذا كان جواب نبي الله هود عليه السلام ؟ قال (اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون) يا سبحان الله ! شخص واحد ليس له نصير من البشر اشتد حقد قومه الطغاة مجتمعين عليه ثم يقول لهم : — (فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون) ! ؟ ان هذا الموقف في عرف

الناس وطبيعتهم البشرية يعتبر – لاول وهلة – تهور او القاء بالنفس الى الهلاك ، وتركا لما يجب من الاتزان والحكمة التي يحفظ الانسان بها نفسه ، واذن فيحق للمرء عندما يرى هذا الموقف الذي وقفه هود ان يتساءل : لماذا وقف هذا الموقف الذي يظهر لاول مرة انه في غير محله ، لأن بعض القوم وليس كلهم في استطاعتهم ان يهجموا عليه فيقتلوه ، او يحبسوه ، او ينفوه من ارضه ، فتنقطع بذلك دعوته التي يجب عليه ان يتلمس لها سبل النجاح ! ، نعم يتساءل المرء هذا التساؤل عندما يقيس الامور بمقاييسها الارضية ، ولذا اجاب ربنا على هذا التساؤل جوابا شافيا كافيا يلفت النظر البشري الارضي الى ان الامر اعلى واعظم من ذلك التصور الذي نشأ عنه هذا التساؤل ، انه امر سماوي عظيم بعيد عن مقاييس البشر القاصرة ، انه تلك الصفة العظيمة تفويض العبد كل اموره الى ربه تعالى واعتماده عليه اعتمادا كاملا ، موقنا ان كل المخلوقين لا يقدرون ان يصيبوه بمكروه لم يرد الله اصابته به ، كما ان كل المخلوقين لا يقدرون ان يؤتوه خيرا لم يرد الله إيتاءه اياه . . انها صفة التوكل . ولذا قال بعد ذلك التحدي (اني توكلت على الله ربي وربكم) اي خالقي وخالقكم المتصرف في وفيكم وفي العالم كله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) وهو سبحانه حكيم عادل يضع الامور في مواضعها وينصر من يستحق النصر ويخذل مَن يستحق الخذلان لا يحيف ولا يجور (ان ربي على صراط مستقيم).

وكل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يلجئون الى هذا الحصن المنيع عندما تحيط بهم المصائب والمحن وتتآمر عليهم قوى الشر والعدوان بالحديد والنار وانواع التعذيب . ومنهم خاتمهم وامامهم نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الذي ضرب المثل الاعلى في الاعتماد على ربه امام اعدائه سادة قريش العتاة الذين اشتد غيظهم عليه وتألبوا ضده وعملوا بكل جهد وبكل وسيلة يطيقونها على ان يقبروه ليقبروا معه دعوته ، وآذوه بكل انواع الاذية باللسان تارة وباليد اخرى في كل مكان سنحت لهم الفرصة فيه حتى بيت الله الحرام .

ومع ذلك كله وقف – صلى الله عليه وسلم امامهم صامدا صمود الجبال الراسية امام الاعاصير ، لا

يزيده اذاهم الا صلابة وبقاءعلى مبدئه وعقيدته وشجاعة نادرة اذ كان يسب آلهتهم ويسفه احلامهم وعقول آبائهم ، غير مبال ولا مكترث بما حصل ويحصل من الاذى الذي لا يطيقه الا من رزق الاعتماد على الله . وتبعه على ذلك اصحابه — رضي الله عنهم — القلة المستضعفون الذين يطول ذكر بلائهم في سبيل الله دون ان يتزلزلوا او تخور قواهم ليتراجعوا قيد شبر عن مبدئهم الذي آمنوا به .

قل لي بربك : لماذا كل ذلك ؟ انه — وربي — الاعتماد الكامل على خالقهم الذي سلموا له انفسهم بقولهم (لا اله الا الله) عن ايمان صادق به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم . اعتمدوا عليه واثقين من وفائه بوعده بنصرهم وخذلان اعدائهم ، كما قال الله تعالى لهم (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) . ولنأخذ بعض الآيات القرآنية في هذا الباب لنرى منزلة هذه الصفة في دين الله ، ولنرى تكيف رسل الله عليهم — الصلاة والسلام ولا سيما خاتمهم محمد — صلى الله عليه وسلم — واصحابه الكرام بها .

١ — اخبر الله تعالى رسوله واصحابه بأنه وحده المالك المتصرف ينصر من يشاء ويخذل من يشاء ، فان اراد نصرهم لم يقدر احد على خذلانهم وان اراد خذلانهم لم يقدر احد على نصرهم ، ثم امرهم بالاعتماد الكامل على ربهم دون سواه لينالوا نصره اياهم على اعدائهم فقال : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ! وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

٢ — جعل الاعتماد عليه وحده دليل الايمان فقال (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين)

٣ — حصر المتصفين بالايمان الكامل فيمن اتصف بخمس صفات هي : الخوف من الله عند ذكره ، وزيادة الايمان به عند سماع آياته ، والاعتماد — عليه ، واقام الصلاة ، والانفاق من رزق الله فقال : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .. اولئك هم المؤمنون حقا)— الآية .

٤ — امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم واتباعه المؤمنين — بالاكتفاء به اي الاعتماد عليه وحده فقال : (يا

ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) .

٥ — اخبر سبحانه ان من اعتمد عليه كفاه فقال : (ومن يتوكل على فهو حسبه)

٦ — اخبر الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم — واصحابه تكيفوا بتلك الصفة التي حثهم عليها وامرهم بها في احرج المواقف التي بلغت فيها القلوب الحناجر ، حتى لقد ازدادوا بها ايمانا وثقة بربهم ، وان الذي يفقد هذه الصفة عند نزول الشدائد هم المنافقون والذين لم يدخل الايمان قلوبهم فقال عن المنافقين : (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وقال عن المؤمنين (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وما زادهم الا ايمانا وتسليما)

٧ — اخبر الله تعالى عن نبيه — صلى الله عليه وسلم — واتباعه المؤمنين ان ارجاف المرجفين وتجمع الاعداء ضدهم مهما كانت قوتهم وكثرتهم لايزيدهم الا ايمانا اعتمادا على ربهم ، اذ جاء المرجفون يخوفون الرسول — صلى الله عليه وسلم — واصحابه بجموع الاعداء من قريش الذين يريدون القضاء عليهم وعلى عقيدتهم (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وهذه الكلمة نفسها ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها ابراهيم ايضا حينما القي في النار كما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٨ — اخبر الله عن مؤمن آل فرعون انه عندما القى كلمته الاخيرة واحس بالخطر منهم لجأ الى ربه معتمدا عليه وحده ليخلصه من القوم ، وقد خلصه الله من مكرهم وخذل اعداءه ، وجازاهم بما يستحقون ، حيث قال تعالى عنه : (فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد . فوقاه الله سيئآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

تصويب وتخطئة

علم مما مضى من البحث ان التوكل على الله من الاسس الهامة التي قام عليها دين كل رسول ، وان الايمان لا يصح بدون توكل ، وان المراد بالتوكل تفويض العبد كل اموره الدينية والدنيوية الى ربه تعالى، مع الاخذ بالاسباب ، وهو امر واضح لا لبس فيه ولا خفاء على من فهم دين الاسلام فهما صحيحا لا انحراف فيه . . غير ان هناك بعض من جنى

على الاسلام ممن لا يفهموه على وجه العموم ، كما لم يفهموا التوكل على الله على وجه الخصوص ، كما اراد الله تعالى ، ففرط بعضهم وافرط آخرون ولهذا رأيت ان ابين تفريط المفرط وغلو الغالي وصواب المصيب معتمدا في التخطئة والتصويب على نصوص الشريعة التي يسلك سبيلها العقل الصحيح والفطرة السليمة .

فأقول وبالله تعالى توفيقي وعليه توكيلي واعتمادي : ان الناس في فهم التوكل ثلاثة اقسام : —

القسم الاول : —

افرط وبالغ فرأى أن التوكل على الله المراد منه ترك الاسباب التي جعل الله مسبباتها مربوطة بها ، فعمل هذا القسم بهذا الفهم الخاطي حتى رأى بعضهم ان من التوكل على الله الالقاءبالنفس في المفازات الخاليةبدون حمل زاد ولا ماء ، وان من التوكل ترك التداوي مهما بلغ المرض من الخطر . ومعنى هذا ان التوكل ان ان يلقي الانسان بنفسه في المهالك التي يترجح فيها عادة ضرر الموت فمادونه ، دون ان يتخذ وقاية مباحة ، وهو امر عجيب يبرأ منه الدين وحاملوه الفاهمون لحكمه واسراره كما يأتي بيان ذلك في القسم الثالث ان شاء الله تعالى .

القسم الثاني : —

فرط واساس تفريطه انه فهم معنى التوكل ما فهمه القسم الاول ، وقارن بين ذلك الفهم وبين السنن الكونية والاسباب المباحة الطبيعية فتعارض عنده الامران ، وصعب عليه التوفيق بينهما بمقتضى هذا الفهم ، فرجح جانب الاسباب ورفض الاعتماد على الله ، وجعل الاسباب مستقلة بمسبباتها توجدها اذا شاءت وتعدمها اذا ارادت ، وكلا الفهمين خطأ ، وكلا الفريقين ضال والصواب الذي لا شك فيه هو .

القسم الثالث : —

فهم التوكل على حقيقته وهو : تفويض الامور الدينية الى الله تعالى ، وتفويضهااليه يستلزم كلاً من الاعتماد عليه لأنه امر به والاخذ بالاسباب لأنه هو الذي جعلها اسبابا ، وطلب هذا هو مقتضى التفويض الكامل يعتقد صاحبه ان هناك اسبابا يجب ان تعمل لتوجد مسبباتها ، كما يعتقد ان الاسباب والمسببات جميعا تحت تصرف القدرة الالهية اذا شاء الله للاسباب ان تؤثر في مسبباتها أثرت ، وان شاء ان يبطل ذلك التأثير أبطله ،

ويعتقد ان عليه ان يأخذ بالسبب دون ان يتلكأ ما دام يعرف انه غير محظور مع الاستعانة بالله والاعتماد عليه ، ولا يعتقد ان السبب — مجردا — كفيل بوجود المسبب . ويتضح المراد من البحث السابق بأمور كثيرة نذكر منها ما يلي :

١ — ان الله جعل الاكل سببا في اذهاب الجوع ، وهو امر لا يستطيع ان يكابر فيه احد ، ومع ذلك قد يوجد من يأكل ولا يشبع اذا ما اراد الله ذلك وقد انبأني من اثق به انه يعرف شخصا كان يأكل طوال الليل والنهار اذا استطاع وأنه لا يشبع ، فكون الاكل مذهبا للجوع يوجب الاخذ بالسبب ، وكونه قد لا يذهبه يوجب الاعتماد على الله في اذهابه .

٢ — وجعل الشرب سببا في اذهاب العطش ، وهو امر واضح كذلك ، ومع ذلك قد يوجد من يشرب ولا يروى ، كالابل التي تصاب بداء الهيام ، فكون الشرب مذهبا للعطش يوجب الاخذ بالسبب ، وكونه قد يوجد من لا يذهب الشرب عطشه يوجب الاعتماد على الله .

٣ — وجربتْ كثير من الادوية لشفاء كثير من الامراض ، ومع ذلك قد يوجد من يداوي بتلك الادوية لتلك الامراض ولا يشفى ، فكون الدواء مذهبا للداء يوجب الاخذ بالسبب ، وكونه قد يوجد من لا يفيده ذلك يوجب الاعتماد على الله .

٤ — والعادة في التفوق العسكري في العدد والعتاد والخبرة موجب لنصر من توفر ذلك له وهزيمة عدوه ، ومع ذلك قد يوجد من هو متفوق عددا وعدة وخبرة ثم ينهزم امام من هو اضعف منه في ذلك . فكون القوة موجبة للنصر موجب للاخذ بالسبب ، وكونه قد ينهزم من توفرله ذلك يوجب الاعتماد على الله . والا مثله لذلك لا تستطاع حصرا .

ولنلق نظرة خاطفة على موقف الاديان السماوية من فهم التوكل على الله متمثلا في ائمة الهدى وقادة الخير رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

١ — فهذا نوح عليه السلام يأمره ربه الذي يقول للشيء كن فيكون ان يصنع سفينة لينجو فيها هو واتباعه المؤمنون عندما يعم الطوفان الارض فيهلك كل من لم يكن فيها ، فأمره الله بصنع سبب طبيعي مع انه قادر على ان ينجيه وقومه بدونها ، ولم ينسى نوح ربه والاعتماد عليه حينما اراد الركوب في السفينه اذ قال لقومه : (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها

ان ربي لغفور رحيم) . وكذلك موسى حينما اراد الدخول ببني اسرائيل البحر بأمر ربه ليخلص بهم من فرعون وقومه الذين كتب هلاكهم ، امره ربه ان يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق ، مع ان الله قادر على فلقه بدون العصا ، وماذا كانت تفعل العصا لولا قدرة الله التي كانت وراءها .

٢ — وهذا ابراهيم عليه السلام يأخذ بالسبب الطبيعي لنجاته من قومه الذين ما كانوا ليدعوه لو بقي عندهم يدعوهم الى دين الله الحق ، فقرر الهجرة الى ارض أمره الله بالهجرة اليها ، وعندما القي في النار لم يتزلزل ولم يضعف لاعتماده على ربه الذي جعلها بردا وسلاما عليه .

٣ — وكذلك موسى عليه السلام عندما قتل القبطي وتآمر القوم ليقتلوه فجاء من نصحه بالخروج لم يتلكأ بل خرج من فوره آخذا بالاسباب الطبيعية ، ولم ينس ربه بل اظهر اعتماده عليه . قال تعالى : (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب . قال ربي نجني من القوم الظالمين) فخروجه أخذ بالسبب ، ونداؤه ربه ليسلمه من اعدائه اعتماد على الله .

٤ — وهذا خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام يختفي في الغار ثلاثة أيام مع صديقه رضي الله عنه . ويقول له عندما يراه يخاف عثور القوم عليهم : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ! ويقول الله عنهما : (إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) فأختفاؤه صلى الله عليه وسلم في الغار اخذ بالسبب الطبيعي وقوله (ان الله معنا) اعتماد على الله تعالى ويقول النبي — صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة) حثا على التوكل وعدم اعتقاد ان السبب مستقل بنفسه ، ويقول : (فر من المجذوم) حثا على الاخذ بالاسباب الطبيعية . . ومن أجمع الاحاديث النبوية واكملها في الاخذ بالاسباب مع الاعتماد على الله تعالى حديث ابي هريرة عند مسلم قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان اصابك شيء فلا تقل : لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو فتح عمل الشيطان)

فقد حث في هذا الحديث على الاخذ بالاسباب عموما دينية كان او دنيوية بقوله (احرص على ما ينفعك) وقوله : (ولا تعجز) كما حث على التوكل والاعتماد على الله بقوله : واستعن بالله ، وقوله : وان اصابك شيء فلا تقل : لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فما ينفعك شرع ان تسعى في حصوله ، وما يضرك شرع ان تسعى في دفعه ، فاذا بذلت جهدك ثم لم يحصل لك المطلوب ولم يندفع عنك المكروه فعندئذ يجب عليك التسليم والصبر على قدر الله ، فلا تقل قبل السعي في ذلك : قدر الله وتتقاعس عن مصالحك ، فان هذا عجز وقد نهاك الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عنه ومن اين علمت ان ذلك قد قدر ولا دافع له ، وما ادراك لعل النهاية تكون في صالحك . واحب ان اضرب لك مثالين يوضحان المقصود : —

الاول : — لو فرضنا ان متماتلا مسلما اصيب من قبل العدو بجروح خطيرة والاسعاف على اتم استعداد لمعالجته فامتنع من العلاج وقال : قدر الله علي الموت بهذه الجروح . فهل يجوز له ذلك ؟

اقول لا يجوز ذلك لامور :

الاول : — ان في ترك التداوي عندئذ تعريضاً لتعذيب نفسه وازدياد آلامه وانبعاث الروائح الكريهة منه .

الثاني : — انه لا يدري عن تقدير الله فلعل اجله يكون طويلا اكثر مما يتصور فهو عجز منهي عنه .

الثالث : — ان في معالجته عمل سبب قد يكون في صالح المسلمين في الوقت القريب ضد إعدائهم الكفار ، ولو أخر التداوي طال وقت ضعفه الذي يمنعه من معاودة جهاد أعدائه .

المثال الثاني : — لو فوجيء اهل بلدة ما بهجوم شديد من اعدائهم الكفار ، فهل يجوز لهم : قدر الله ويستسلموا للعدو يستحل دماءهم ويستبيح اموالهم ونساءهم ويعبث في ارضهم الفساد ؟

لا يشك من له ادنى مسكة من عقل فضلا عن المسلم ان ذلك لايجوز وانه يجب ان يعمل اهل البلد بالاسباب المستطاعة ضد عدوهم فان نصروا حمدوا الله وقد عملوا جهدهم ، وان هزموا فعند ذلك يقولون : قدر الله وما شاء فعل .

وعند الترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا) رمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة ، وقال شارحه المناوي : قال الترمذي : حسن صحيح وقال الحاكم صحيح واقره الذهبي ، ورواه النسائي عنه ايضا (٥ـ ٣١١) مناوي .

ولنقف قليلا متأملين في معنى هذا الحديث فالطير تعرف مصالحها ومضارها وتسعى لحصول الاولى ودفع الثانية ، لكنها ليست كالادميين تعرف الاشياء بالتفصيل ، فهي تطير من اكنانها في ارض الله لا تدري ماذا تصيب في يومها ، فيسهل الله ارزاقها وأرزاق افراخها الصغار التي لا حول لها ولا قوة ، فترجع وقد شبعت وتزودت .وكذلك الآدمي اذا سعى لحصول رزقه وتوكل على ربه سهل له رزقه ، فالتوكل الحقيقي هو التفويض الكامل لجميع الشؤن الدينية والدنيوية الى الله سبحانه مع فعل السبب والاعتماد على الله في حصول المسبب بدليل ما في هذا الحديث . فالطير التي هي المشبه به لم تبق في اكنانها حتى يأتيها رزقها ، وانما تخرج منها جياعا متنقلة من مكان الى آخر حتى يرزقها الله فترجع شباعا .

ولنتأمل بعض آيات القرآن الكريم التي يحفظها العامي كالعالم ، ويقرؤها كل منا مرارا في اليوم في كل ركعة من صلواتنا فرضا كانت او نفلا لنجد انه لا بد من الجمع بين الامرين : فعل السبب والاعتماد على الله والاستعانة به في حصول المسبب (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم) الخ . فكل مصلٍ يقصد من صلاته — بعد امتثال ربه — ثوابه بدخول الجنةفالعبادة سبب ودخول الجنة ورضا الله مسبب ، ولكنه لا يعتمد على مجرد المسبب بل يعتمد على الله مع ذلك ويستعين به في ذلك ويسأله الهداية ، ولهذا يقول (اياك نعبد .واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم) .

ولقد اجاد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله — كعادته في كل بحوثه — في هذا البحث بكلام قليل جامع بين فيه مواقف الناس من التوكل

على الله والاخذ بالاسباب وثمرات تلك المواقف فقال : – يعني الله تعالى – الذي خلق السبب والمسبب والدعاء من جملة الاسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى . واذا كان كذلك : –

١ – فالالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد .

٢ – ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل .

٣ – والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع .

٤ – بل العبد يجب ان يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله سبحانه وتعالى والله يقدر له من الاسباب من دعاء الخلق وغيره ما شاء ا هـ (١ – ١٣) مجموع الفتاوى لابن قاسم . وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله :

(وقد تضمنت هذه الاحاديث اثبات الاسباب والمسببات وابطال قول من انكرها والامر بالتداوي وانه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش والحر والبرد باضدادها ، بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضية لمسبباتها قدرا وشرعا . وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها ان تركها اقوى في التوكل ، فأن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الاسباب ، والا كان معطلا للحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا) ا هـ (ص ٦٩ فتح المجيد) والخلاصة ان المتوكل الحقيقي من حرص على ما ينفعه فبذل الاسباب في حصوله واعتمد على ربه في ذلك ، وعلى دفع ما يضر فبذل الاسباب لدفعه واعتمد على ربه في ذلك وصبر على قضاء الله الذي لا راد له . وعلم ان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطأه ، وكان شجاعا لا يخاف الا ربه سبحانه وتعالى .

هذا وارجو ان اكون قد وفقت لبيان جانب كبير لهذا البحث الهام ، وان يغفر الله خطأي ان كنت اخطأت فان (كل بني آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون) وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

عبد الله بن احمد قادري
المدرس بالمعهد الثانوى